

شواهد قبور عربية ذات شهور قبطية من جبانة أسوان

د. عاطف سعد محمد محمود^(١)

ملخص البحث

تعد دراسة شواهد القبور من إحدى الدراسات المهمة في علم الآثار الإسلامية لأنه مما لا شك أن تاريخ أي أثر يعرف بشاهده أو بنصه التأسيسي، ولذلك نستطيع أن نجزم بأنه إذا وجد الشاهد أو النص التأسيسي على الأثر فذلك يعتبر بمثابة المؤرخ الأول له.

وانتشرت شواهد القبور في العالم الإسلامي من التركستان شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، كما أن شاهد القبر له تسميات متعددة في العالم الإسلامي منها (البلاطة- اللوح- النقشية- القبرية)، كما تعرف في غرب العالم الإسلامي باسم المقبرية أو التاريخ بالأندلس، ولكن لم توجد في أي مكان يمثل الكثرة التي وجدت بها في مصر، فقد تميزت مصر الإسلامية بكثرة ما عثر عليه من شواهد القبور فيها، ومن أكثر الأماكن التي عثر فيها على شواهد القبور في مصر هي جبانة أسوان والتي تنتشر بها الإسلام منذ بدء ظهوره وسكنها العرب منذ القرن الأول الهجري ولم تقتصر أهمية جبانة أسوان على أنها من أقدم الجبانات في العالمين الإسلامي والعربي بل ترجع أهميتها إلى ما خلف منها من القباب وكثرة شواهدها الأثرية والتي تحتوي على أسماء بعض القبائل العربية، وتجدر الإشارة إلى أن الجبانة ومخازنها الأثرية التابعة لها تحتوي على عدد هائل من الشواهد التي لم تنتشر من قبل.

يتناول ذلك البحث شواهد قبور ذات تقويم قبطي من جبانة أسوان تنتشر لأول مرة، وذلك بدراسة وصفية حسب ترتيبها الزمني، وذلك من خلال توضيح مقاساتها ونوعية الخامات المستخدمة في صناعتها وطرق الحفر عليها وتواريخها. أما فيما يتعلق بالدراسة التحليلية التي يتناول فيها البحث الشكل العام لتلك الشواهد ونوعية الخطوط المستخدمة عليها والزخارف الواردة عليها، ودراسة مضمونها من آيات قرآنية وعبارات دعائية وكذا الألقاب والوظائف الواردة عليها والتي منها ينشر لأول مرة إلى جانب التركيز على دراسة التقويم القبطي الوارد على تلك الشواهد ومحاولة إيضاح أسباب وروده.

(١) ومحل كلية الآثار لشئون التعليم والطلاب - جامعة جنوب الوادي.

مقدمة:

تعد دراسة شواهد القبور إحدى الدراسات المهمة في علم الآثار الإسلامية، لأنه مما لا شك فيه أن تاريخ أى أثر يعرف بشاهده أو بنصه التأسيسي وبذلك نستطيع أن نجزم بأنه إذا وجد شاهد أو النص التأسيسي على الأثر فذلك يعتبر بمثابة المؤرخ الأول للأثر.

وشاهد القبر - والجمع شواهد^(٢) - هو عبارة عن ألواح من أنواع مختلفة من الحجر أو الرخام توضع فوق القبر للإشارة إلى من يرقد فيه، وأحياناً توجد تلك علي الشواهد أعلي تراكيب للقبور^(٣).

وانتشرت شواهد القبور في العالم الإسلامى من التركستان شرقاً إلى المحيط الأطلنطى غرباً كما ورد أن شاهد القبر له تسميات متعددة في العالم الإسلامى منها البلاطة واللوح والنقشية والقبرية ، كما عرف في غرب العالم الإسلامى بإسم المقبرية والتاريخ بالأندلس، ولكن لم توجد في أى مكان بمثل الكثرة التي وجدت بها في مصر فقد تميزت مصر الإسلامية بكثرة ما عثر عليه من شواهد القبور فيها، ومن أكثر الأماكن التي عثر فيها على شواهد القبور في مصر هي جبانة مدينة أسوان، والجبانة الجنوبية في أسوان، هي واحدة من الجبانات الإسلامية الأكثر أهمية في المدن الإسلامية القديمة وفيها تم العثور على أقدم شاهد قبر يعود إلى القرن الأول الهجرى وهو شاهد قبر من الحجر الجيري مؤرخ بسنة ٣١ هـ، وهو الآن محفوظ في متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، وفي عام ١٨٨٦م حدث سيل كبير وأغرق الجبانة ودمر العديد من القبور، وقام العاملون بالآثار بإنقاذ شواهد القبور وحاولوا جمعها من المقابر دون وضع أى إشارات إلى الربط بين القبور والشواهد التي ترجع إليها، كما تقول أبسط

(٢) شواهد القبور هي قطع من الحجر أو الرخام توضع فوق القبر لتدل بما عليها من كتابات على من يرقد في القبر، وشواهد القبور المصرية الإسلامية كثيرة، ويعتبر المتحف الإسلامى بالقاهرة أغنى المتاحف جميعاً في هذه الناحية، وأكثر هذه الشواهد ألواح مستطيلة الشكل وبعضها على هيئة اسطوانات أو أعمدة صغيرة تدور حولها الكتابات، وقد ظهر هذا الشكل في خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، إلى جانب الألواح المستطيلة، وفي العصر العثماني اتجهت العناية إلى تمييز قبور الرجال عن قبور النساء، فجعلت الشواهد في الأولى، تنتهي من أعلى بما يشبه العمامة، بينما جعلت الشواهد في الثانية تنتهي من أعلى بما يشبه الرأس وفوقها القرص وأسفلها ما يشبه الرقبة التي تدور حولها القلائد، وتنقش عليها الكتابة حفرًا بارزاً أو غائراً وتزين بالزخارف الهندسية والنباتية. أنظر :- محمد عبدالعزيز مرزوق : شواهد القبور، ضمن تاريخ وآثار مصر الإسلامية، جزء خاص أصدرته الهيئة العامة للاستعلامات، أشرف عليه عبد الحميد يونس وآخرون، لندن، بدون تاريخ، ص ٩٧٩-٩٨٠.

(٣) عن تراكيب القبور يمكن الرجوع الي عاطف سعد محمد محمود: تراكيب القبور بمدينة القاهرة منذ بداية العصر العثماني حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري دراسة أثرية فنية مقارنة، مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادي ٢٠٠٦م، ص ١٢.

قواعد علم الآثار، وبذلك فقدنا أهم معالم لمباني جبانة أسوان ولكن هذا لا يعني أن شواهد القبور فقدت أهميتها، ولكن بمشيئة الله تعالى من خلال الدراسات الجادة يمكن استنتاج هذه الشواهد واستلهاهم العديد من المعلومات التي تحويها بين جنباتها، للوقوف علي العديد من المعارف المختلفة في شتي مناحي الحياة للفترات التاريخية التي سجلتها لنا تلك الجبانة، في الواقع نحن أمام عمل قومي من الدرجة الأولى بما يليق بمكانة مصر الاسلامية، لذا يجب علي كل جاد منا وكل المسئولين العمل قدر المستطاع لإنقاذ هذا التراث الإنساني الحضاري العربي الإسلامي وإظهاره في شكله الذي يليق به.

أهداف الدراسة :-

- نشر مجموعة من شواهد القبور المبكرة لأول مرة حيث لم يسبق نشرها من قبل.
- دراسة تلك الشواهد دراسة وصفية للوقوف علي العديد من السمات الجديدة التي لم تظهر من قبل.
- دراسة وتحليل تلك الشواهد من ناحية الشكل، لتحديد نوع الخطوط المستخدمة والزخارف الواردة عليها.
- دراسة وتحليل تلك الشواهد من ناحية المضمون للتعرف علي بعض الصيغ الجنائزية الجديدة غير المألوفة، ومحاولة ترجمة المتوفين ونسبهم الي قبائلهم أو بلدانهم، مع تحليل للألقاب والوظائف التي ترد لأول مرة.
- دراسة الشهور القبطية الواردة علي تلك الشواهد خاصة وأنها القاسم المشترك بينها، وتجدر الإشارة إلي أن الدراسة التي نحن بصددتها هي أول دراسة تنصدي لذلك الموضوع، إضافة إلي ذلك ينشر لأول مرة شواهد ذات شهور قبطية حيث لم تنشر بالدراسات السابقة من قبل.

منهج الدراسة ومحتوياتها:

يتناول ذلك البحث شواهد قبور ذات شهور قبطية من جبانة أسوان تنتشر لأول مرة، وذلك بدراستها دراسة وصفية حسب ترتيبها الزمني، وذلك من خلال توضيح مقاساتها ونوعية الخامات المستخدمة في صناعتها وطرق الحفر عليها وتواريخها. أما فيما يتعلق بالدراسة التحليلية التي يتناول فيها البحث الشكل العام لتلك الشواهد ونوعية الخطوط المستخدمة عليها والزخارف الواردة عليها، ودراسة مضامينها من آيات قرآنية وعبارات دعائية وكذا الألقاب والوظائف الواردة عليها والتي منها ينشر لأول مرة إلى جانب التركيز على دراسة الشهور القبطية الواردة على تلك الشواهد ومحاولة استيضاح أسباب ورودها.

الدراسة الوصفية:

عبارة عن تسعة شواهد قبور من جبانة أسوان من الحجر الرملي، بعضها في حالة جيدة، والبعض الآخر في حالة سيئة اعترها التلف والكسر في أجزاء متفرقة منها، جميعها اتخذ الهيئة المستطيلة الشكل، لها إطار خارجي عريض خال من

الزخارف يحدد النص الكتابي، عليها كتابات بالخط الكوفي البسيط في معظمها وأحيانا الخط الكوفي المورق، نفذت جميع النقوش بالحفر الغائر، وبيان الشواهد وقراءتها كالتالي:

الشاهد الأول^(٤)

- رقم التسجيل: ٥٨
مقاسات الشاهد: ٤٠ × ٢٦ سم
مقاس النص الكتابي: ٣٦ × ٢٠ سم
عدد السطور: ١٠
نوع الخط: كوفي بسيط.
قراءة النص:
١- بسم الله الرحمن الرحيم
٢- هذا قبر هم.....
٣- ابنت بكر رحمت
٤- الله ومغفرته ورضوا
٥- نه عليها توفيت
٦- يوم الأحد لسبع
٧- ليال خلون من بؤنة^(٥)
٨- سنة ثمان وخمسين
٩- ومايتين وهي تشهد.....
١٠- وحده

(شكل رقم ١، لوحة رقم ١)

الشاهد الثاني^(٦)

- رقم التسجيل: ٣٧
مقاسات الشاهد: ٤٨ × ٢٦ سم
مقاس النص الكتابي: ٣٨ × ١٩ سم
عدد السطور: ١٠
نوع الخط: كوفي مورق.

(٤) ينشر هذا الشاهد لأول مرة حيث لم يتم نشره من قبل.

(٥) بؤنة: نسبة الى الاله "خنثى" احد أسماء حورس او الشمس ومعناه اله المعادن لان فيه تستوى المعادن والاحجار الكريمة بسبب شدة القيط لذلك تسميه العامية "باؤنى الحجر، امثال: بؤونه الحجر (نسبة الى شدة القيط)، بؤونة تكثر فيه الحرارة الملعونه، ويُقال عسل بؤونة. راجع السنكسار،

http://st-takla.org Accecded at " 08.07.2012 "

(٦) ينشر هذا الشاهد لأول مرة حيث لم يتم نشره من قبل.

قراءة النص:

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم
- ٢- ان اعظم مصائب
- ٣- أهل الاسلام مصيبتهم
- ٤- بالنبي محمد صلي الله
- ٥- عليه وسلم هذا قبر
- ٦- ماريه مولات محمد بن
- ٧- كثير رحمت الله عليها
- ٨- توفيت يوم الاثنين لاربع
- ٩- بقين من طوبة^(٧) من سنة
- ١٠- تسع وثمانين ومايتين

(شكل رقم ٢، لوحة رقم ٢)

الشاهد الثالث^(٨)

رقم التسجيل:

مقاسات الشاهد: × سم

مقاس النص الكتابي: × سم

عدد السطور: ٥

نوع الخط: كوفي بسيط.

قراءة النص:

١- لله عليه توفى

٢- الأحد لست عشر

٣- خلون من أمشير^(٩)

(٧) طوبة: نسبة إلى الإله (أمسو أو طوبيا) أي الأسمى أو الأعلى أو اله المطر الذي سميت باسمه مدينة طيبة بالأقصر ومعناها غسل أو تطهير ويسمى أيضاً "خم" وهو شكل من أشكال أمون رع إله طيبة بمصر العليا أو إله نمو الطبيعة لأن فيه يكثر المطر وتخصب الأرض، أمثال : طوبة تخلى الصبية كركوبة، من كثرة البرد والرطوبة - طوبة أبو البرد والعنوبة (الآلام)، أشهر ما يمتاز به :

ماء طوبيه. راجع السنكسار، " 09.07.2012 " Acceded at <http://st-takla.org>

(٨) ينشر هذا الشاهد لأول مرة حيث لم يتم نشره من قبل.

(٩) أمشير: نسبة إلى لشدة الزوايع والأهوية لكثرتها وشدتها في هذا الشهر فيقال شيطان الزوايع، كان المصريون القدماء يدعوه "شهر النار أو الحرارة الكبيرة" لأنه مخصص لنزول الشمس الكبيرة، أمثال: أمشير أبو الزعابير - أمشير أبو الطبل الكبير - أمشير أبو الزعابير الكثير - أمشير يقول للزرع سير بلا تعسير - الصغير يحصل الكبير - إن هل المشير اعجن من البير (تبدأ المياه الجوفية في الدف)، الاسم لطوبة والفعل لأمشير، أشهر ما يتميز به خروف أمشير. للنفاصيل راجع

السنكسار، " 05.07.2012 " Acceded at <http://st-takla.org>

٤- سنة أربع و

(لوحة رقم ٣)

٥- تسعين وثلثمائة

الشاهد الرابع^(١٠)

رقم التسجيل: ٧٤

مقاسات الشاهد: ٦٦ × ٢٣,٥ سم

المادة الخام: الرخام

مقاس النص الكتابي: ٤٢,٥ × ٢٠ سم

عدد السطور: ٩

نوع الخط: كوفي مورق.

قراءة النص:

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- تبارك الذي جعل في السما

٣- بروجا وجعل فيها سرا

٤- جا و^(١١) اللهم صلي

٥- علي محمد النبي واله وار

٦- حم ابنت حسين

٧- توفيت يوم الجمعة

٨- لعشر خلت من كياك^(١٢) سنة

٩- تسع وتسعين وثلثمائة

الشاهد الخامس^(١٣)

رقم التسجيل: ٨٤

مقاسات الشاهد: ٢٧,٥ × ٢٣,٥ سم

مقاس النص الكتابي: ٢١,٥ × ١٧ سم

عدد السطور: ٦

(١٠) ينشر هذا الشاهد لأول مرة حيث لم يتم نشره من قبل.

(١١) قرآن كريم: سورة الفرقان، الآية رقم ٦١.

(١٢) كياك : نسبة إلى الإله (كا هاكا) اله الخير، أو الثور المقدس المعروف عند العامة بالعجل

أبيس، الأمثال: كياك صباحك مساءك، تقوم من فطورك تحضر عشاك، اشهر منتجاته: سمك كيهك،

وفي كتاب الإبصلمودية المقدسة، وخاصة التسبحة الكيهكية (وهي كما في التسبحة السنوية مع إضافة

بعض الإضافات وهي تقال طوال شهر كيهك حتى البرامون)، فيها تركز الكنيسة على السيدة العذراء

لذلك سمي شهر كيهك باسم الشهر المريمي. راجع السنكسار،

http://st-takla.org Acceded at " 06.07.2012 "

(١٣) ينشر هذا الشاهد لأول مرة حيث لم يتم نشره من قبل.

نوع الخط: كوفي بسيط.
قراءة النص:

(١٤)

١- كـفـوا احـ[د] (١٥)

٢- محمد النبي وا

٣- رحم فاطم

٤- يود المغربي ليلا

٥- من امشير من سنة

٦- واربع مايه

الشاهد السادس (١٦)

رقم التسجيل: ٢٧٩

مقاسات الشاهد: X سم

مقاس النص الكتابي: X سم

عدد السطور: ٥

نوع الخط: كوفي مورك

قراءة النص:

١- ابنت

٢- بن عزام بن قاسم تو

٣- فيت في هاتور (١٧) من سنة

٤- اثنى عشر وأربع ما

٥- يه

(لوحة رقم ٦)

الشاهد السابع (١٨)

رقم التسجيل: بدون رقم

(١٤) ملحوظة هذا الشاهد به كسر كبير في الجزء العلوي ومن الواضح أنه كان يشتمل علي الأيات الأولى من سورة الاخلاص.

(١٥) قرآن كريم: سورة الاخلاص، الآية رقم ٤.

(١٦) ينشر هذا الشاهد لأول مرة حيث لم يتم نشره من قبل.

(١٧) هاتور: نسبة إلى الإله (هاتور أو أثور) إله الحب والجمال وملكة السماء والفرح والمحبة التي يقابلها عند اليونان " أفرودت "، لان في هذا الشهر تنتزين الأرض بجمال الخضرة، يصور: امرأة برأس بقرة. وأحياناً بصورة بقرة. أمثال الشهر: هاتور أبو الذهب المنثور أي "القمح" - إن فاتك زرع هاتور أصبر لما السنة تدور، أشهر محاصيله: موز هاتور. راجع السنكسار،

http://st-takla.org Acceded at " 06.07.2012 "

(١٨) ينشر هذا الشاهد لأول مرة حيث لم يتم نشره من قبل.

- مقاسات الشاهد: ٦٠ × ٢٥ سم
مقاس النص الكتابي: ٤٠ × ١٥,٥ سم
عدد السطور: ١٢
نوع الخط: كوفي موزق
قراءة النص:
١- بسم الله الرحمن الرحيم
٢- حيم اللهم صلي علي
٣- محمد النبي واله الطا
٤- هرين وارحم امتك
٥- الفقيرة الي رحمتك
٦- زينب ابنت احمد
٧- بن علي بن موسي
٨- بن جعفر توفيت
٩- لعشر خلون من
١٠- كهيك^(١٩) سنة ست
١١- عشرة واربع
١٢- مايه

(شكل رقم ٥، لوحة رقم ٧)

الشاهد الثامن^(٢٠)

- رقم التسجيل: ٨١
مقاسات الشاهد: ٢٣,٥ × ٢٤ سم
مقاس النص الكتابي: ٢٢ × ١٨ سم
عدد السطور: ٧
نوع الخط: كوفي موزق.
قراءة النص:
١- بن حمد تو
٢- توفيت يوم
٣- السبت لسبع
٤- خلون من بشا
٥- نس^(٢١) سنة عشر

(١٩) كهيك شكل املائي أخر لشهر كياك المشار اليه سابقا في الشاهد رقم ٤.
(٢٠) ينشر هذا الشاهد لأول مرة حيث لم يتم نشره من قبل.

٦- بين واربع

(شكل رقم ٦، لوحة رقم ٨)

٧- ... (م)ايه

الشاهد التاسع (٢٢)

رقم التسجيل: ٥٨

مقاسات الشاهد: ٤٠ × ٢٦ سم

مقاس النص الكتابي: ٣٦ × ٢٠ سم

عدد السطور: ١١

نوع الخط: كوفي موق.

قراءة النص:

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- كل من عليها فان ويبقا و

٣- جه ربك ذي الجلال والاكر

٤- ام اللهم صلي علي محمد

٥- النبي واله الطاهرين وارحم

٦- بركات بن ابو النمر بن محمد

٧- بن احمد بن ابو السباع

٨- توف يوم الخميس في الثاني يو

٩- م من شهر بؤنة من سنة

١٠- خمس واربعين واربع

١١- مايه.

(شكل رقم ٧، لوحة رقم ٩)

الدراسة التحليلية :

المادة الخام :

وقد استخدم في عمل شواهد قبور جبانة أسوان بصفة أساسية نوعين من الحجر هما الحجر الجيري والحجر الرملي وهما يوجدان بكثرة في منطقة أسوان فضلاً عن بعض الأنواع الأخرى التي استخدمت في أعداد قليلة من الشواهد منها الرخام.

(٢١) بشانس: نسبة الى المعبود "خونسو أو خنسو" أحد الثالوث لمعبود طبيه وهو "اله القمر" ابن الإله "أمون رع" و"موت". ويصور حاملاً قرص القمر والهلال فوق رأسه، لأن فيه يطول النهار على الليل، امثال الشهر: بشنس يكنس الأرض كنس (كناية عن فترة الحصاد)، ويقال: نيق بشنس. راجع السنكسار،

http://st-takla.org Acceded at " 04.07.2012 "

(٢٢) ينشر هذا الشاهد لأول مرة حيث لم يتم نشره من قبل.

أما بالنسبة للشواهد موضوع الدراسة فقد استخدم الحجر الرملي في صناعتها وذلك لوجوده في مدينة أسوان حيث يستخرج الحجر الرملي من التلال الواقعة على جانبي النهر بالمدينة فيما وراء أسوان بين كلابشة ووادي حلفا جنوباً، وشمالاً حتى وادي المحاميد بالقرب من إدفو. وموطن الحجر الرملي يتركز فيما بعد إسنا، فيكون بدوره التلال الواقعة على جانبي النهر إلى ما يقرب من أسوان وفيما وراء أسوان من كلابشة ووادي حلفا، أما الحد الشمالي لمناطق الحجر الرملي فيوجد بالقرب من السباعية بين إسنا والمحاميد ويوجد هذا الحجر بأسوان^(٢٣). ويتكون الحجر الرملي بصفة أساسية من رمل الكوارتز الناشئ عن تفكك الصخور الأقدم عهداً منه ملتصقاً بعضه ببعض بفعل نسب صغيرة جداً من الطفل و كربونات الكالسيوم وأكسيد الحديد أو السيليكا^(٢٤).

ويتكون الحجر بشكل عام من أكاسيد ترابية نقية توجد في باطن الأرض على هيئة طبقات ، وهو جوهر معدني كثافته أكبر من كثافة الماء، ومحاجر الأحجار كثيرة ومتنوعة في مصر تمتد من جبال أسوان ومناطق الوجه القبلي إلى محاجر القاهرة، وتشمل مناطق حلوان وطرة والمعصرة والبساتين، بالإضافة إلى محاجر الجبل الأحمر، وقد ساعدت هذه الوفرة من المحاجر على استخراج أنواع كثيرة جيدة من الأحجار واستخدامها في عمل حليات ونقوش العمائر وبرع الفنان في زخرفتها بالطرق المعروفة إلى جانب استخدامهم لأنواعاً أخرى من الأحجار نقلوها من العمائر القديمة في العصور السابقة عليهم من فرعونية وإغريقية ورومانية وقبطية، وذلك لوضعها في مواضع غاية في الأهمية من حيث التحمل المعماري مثل الأعتاب العلوية لبعض أبواب المداخل، وبشكل عام فقد ارتبط بنقش الحجر وتسويته صناعة البناء لكي تصلح العمارة.^(٢٥)

ولعل استخدم الحجر الرملي في صناعة هذه الشواهد، يرجع الي عدة اسباب منها أن مصر موطن تشغيل الحجر وهي صاحبة أقدم المباني الحجرية في العالم الإسلامي وأعظمها ضخامة، ويرجع النشاط في تشغيل الحجر على هذا النحو الكبير إلى حقيقتين واقعتين، أولاهما أن البلاد غنية جداً بالحجر، وثانيهما وجود الأدوات

(٢٣) ألفريد لوكاس: المواد والصناعات منذ القدماء المصريين، مكتبة مدبولي، (القاهرة ١٩٨٨م)، ص ص ٩٦-٩٩.

(٢٤) ترميم وصيانة المباني الأثرية والتاريخية ، عبد المعز شاهين ، مطابع المجلس الأعلى للآثار، ص ص ٤٩-٥٠ .

(٢٥) بتلر: فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبوحديد، القاهرة ١٩٩٣، ص ٦٢ .

النحاسية اللازمة لقطعه وتهيئته^(٢٦)، وثالثهما أن الحجر أكثر صلابة ويتحمل تنفيذ النقوش عليه.^(٢٧) وتبعاً لذلك استخدام أدوات الكتابة والنقش عليها.^(٢٨)

أسلوب الكتابة المستخدم في عملية نقش الشواهد :-

وتتطلب عملية الحفر والنقش على الأحجار عموماً مهارة وعناية فائقة من يقوم بهذه العملية^(٢٩). أما عن طريقة أو نوع أسلوب الحفر الذي استخدم في شواهد القبور موضوع الدراسة هي الحفر الغائر وذلك لسهولة تنفيذه وبقاءه لفترة أطول، ولتحديه لعوامل الزمن. وفيها يقوم النقاش بحفر النقوش ذاتها لتصبح غائرة عن سطح الشاهد مما يضمن لها بقاءها لفترات طويلة تقوم عوامل التعرية.

نوع الخط الوارد على شواهد القبور :-

أما بالنسبة لنوع الخط المستخدم على شواهد القبور هو الخط الكوفي، يعتبر الخط الكوفي^(٣٠) من أقدم الخطوط العربية وأكثرها جمالاً وشهرة بين الخطوط العربية لإنتشاره في الأغراض التذكارية وهو أصل الخط العربي، كما غلب عليه الطابع الهندسي ويرى بعض الباحثين انه خط جاف قليل المرونة لكنه جميل الحركة يميل إلى التناسق والإستقامة، بلغ هذا الخط في الكوفة مبلغاً طيباً في الجودة والإتقان والإبتكار خاصة في زمن الإمام على كرم الله وجهه^(٣١).

وقد ظهرت العناية بالخط الكوفي في العصر العباسي الذي تطور بشكل ابعد عن اصله، وتبارى الكتاب في ادخال تحسينات عليه في ذلك يقول ابو حيان التوحيدي: في رسالة علم الكتابة: " ان قواعد الخط الكوفي وانواعه في زمنه اثنتا عشرة قاعدة

(٢٦) عن تاريخ أقدم الأمثلة على استخدام الحجر في البناء وأين بدأ في مصر وأهم الأنواع التي استخدمت، راجع ألفريد لوكاس: المواد والصناعات منذ القدماء، من ص ٩٠ وما بعدها.

(27) Davis (R.H.C): The Mosques of Cairo, Cairo 1994, P.25.

(٢٨) عن أدوات الكتابة والمواد المستخدمة فيها يمكن الرجوع إلى نضال عبدالعال أمين: أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية، مجلة المورد، مج ١٥، العدد ٤، بغداد ١٩٨٦م.

(٢٩) حسنى محمد نور:- شواهد قبور من تربة البوابات بتونس العاصمة " دراسة في الشكل والمضمون ، حوليات الأداب والعلوم الإجتماعية ، الرسالة ١٩١، الحولية الثالثة والعشرون، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت ٢٠٠٣، ص ٧٧ .

(٣٠) ذكرت لنا بعض المراجع نوعاً للخط الكوفي تحت اسم الخط الكوفي القبطي العربي، وذلك بأن يتقن الخطاط فيه الفن القبطي بجانب إتقانه الخط الكوفي، رجع للتفاصيل:- إبراهيم ضمرة: الخط العربي، جذوره وتطوره، مكتبة المنار، الطبعة الثالثة، (الأردن ١٩٨٨م). ص ص ٨٨-٨٩؛ ناجي زين الدين المصرف: بدائع الخط العربي، مؤسسة رمزي للطباعة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، (بغداد ١٩٧٢م)، ص ٣٤. أنظر بالتفصيل بلوحات توضيحية لكل نوع من هذه الأنواع في حسن الباشا: جماليات الخط العربي، ضمن موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية أوراق شرقية، (القاهرة ٢٠٠٠م)، ص ١٧٤؛ إبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى، دار الفكر العربي، (القاهرة ١٩٦٩م)، ص ص ٥٤-٤٩.

(٣١) إبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص ٢١ .

هي: الاسماعيلي، المكي، الاندلسي، الشامي، العراقي، العباسي، البغدادي، المشعب، الريحاني، المجهود، المصري^(٣٢). وقد امتاز الخط الكوفي بالاستقامة، وتكتب غالباً بأستعمال المسطرة طوراً وعرضاً، وقد اشتهر هذا الخط في العصر العباسي حتى لا تكاد نجد مئذنة او مسجد او مدرسة من زخارف هذا الخط، ويعتمد هذا الخط على قواعد هندسية تخفف من جمودها زخرفة متصلة او منفصلة تشكل خلفية الكتابة^(٣٣).
ويعد الخط الكوفي افضل انواع الخطوط العربية للفن والزخرفة، لأن الخط العربي شأن كبير في الزخرفة، ولاغرر فهو ذو انسجام مع النقوش العربية، ولم يستعمل في الزخرفة حتى القرن التاسع الميلادي غير الخط الكوفي ومشتقاته كالقرمطي والكوفي القائم الزوايا^(٣٤). والخط الكوفي هو اقدم خط في بلاد العرب، وكانوا يعتنون به اعتناء كبيراً، وبلغ الخط الكوفي في العصر العباسي منزلة رفيعة لاعتنائهم به وتفننهم في تجميل رسمه وشكله، وادخلوا عليه كثير من فنون الزخرفة، ومن خواصه انه يتمش مع الكاتب في كل هندسة وزخرفة وشكل مع بقاء حروفه على قاعدتها^(٣٥).

وقد نشأ من الخط الكوفي أنواع فنية أو زخرفية انبثقت منه أشكال هندسية جديدة وقد قسم مؤرخي الفنون الإسلامية للكتابات الكوفية إلى أنواع كثيرة أهمها: الكوفي البسيط، والمورق، وذو الأرضية النباتية، والمضفر، والهندسي الأشكال، أما عن نوع الخط الكوفي المستخدم في شواهد القبور موضوع الدراسة فقد تنوعت بين الكوفي البسيط والمورق وذلك أمر طبيعي لوجود هذه الشواهد في الفترة المبكرة.
ولقد دأب العرب على تسمية الخطوط بأسماء المدن التي وردت منها فقد سمي عرب الحجاز الخطوط التي جاءتهم من بلاد النبط، الحيرة والأنبار بالخط النبطي والحيري والأنباري، وكذلك عرف الخط الكوفي نسبة إلى الكوفة لأنه انتشر منها إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي وتم ذلك في عصر ازدهار الكوفة^(٣٦).
ولا نستطيع أن نقول أن الخط الكوفي اخترع في الكوفة لأن الأصل في الخط الكوفي هو الخط العربي إلا أنه نسب إلى الكوفة بعد أن وفد إليها من المدينة وما لبث أن تطور وأدخل عليه التحسين فسمي بهذا الاسم وبلغ الخط العربي في الكوفة من

(٣٢) ناجي زين الدين المصرف: بدائع الخط العربي، ص ٣٤.

(٣٣) عفيف البهنسي: الخط العربي أصوله نهضته انتشاره، دار الفكر للطباعة والنشر، (دمشق ١٩٨٤م)، ص ٢٧.

(٣٤) خيال محمد الجوهري: من تاريخ المكتبات، ص ٦٤ - ٦٥.

(٣٥) محمد عبد العزيز مرزوق: العراق مهد الفن الإسلامي، العراق ١٩٧١م، ص ٤٠.

(٣٦) إبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص ١٨-١٩.

الجودة والإتقان والابتكار والتفنن مبلغاً طيباً خاصة في زمن الخليفة علي كرم الله وجهه^(٣٧).

ويجمع مؤرخو الفنون على أن تاريخ الخط الكوفي يرجع إلى الخط المسند الحميري ، وأنه انتقل من جنوب الجزيرة إلى عرب الشمال بواسطة التجارة، وخاصة إلى الحيرة، ونظراً لقرب الكوفة من الحيرة ولكونها كانت عاصمة الخلافة الإسلامية حينذاك، فقد سمي هذا النوع من الخط باسم الخط الكوفي وقال المؤرخون في ذلك أن عرب اليمن كان لهم خطأ يسمى المسند الحميري نسبة إلى قبائل حمير وكان للعرب القاطنين في شمال الجزيرة وما حول جبال حوران خط يسمى النبطي نسبة إلى الأنباط الساكنين هناك ، ثم اشتق أهل الحيرة والأنباط من النبطي خطأ يسمى الحميري أو الأنباري وهو الذي سمي بعد ذلك الخط الكوفي وهو أكثر شبهاً بالخط النبطي^(٣٨).

وذكر القلقشندي^(٣٩) أن للخط الكوفي أصلين هما قلم الطومار وقلم الغبار، فالطومار خط مبسوط ليس فيه استدارة، والغبار خط مستدير ليس فيه استقامة وتعددت أنواع الخطوط العربية التي تجاوزت المائة^(٤٠)، ويعد الخط الكوفي هو المدني أو المكي ويقوم هذا الخط على إمالة في الألقاب والعلامات نحو اليمين قليلاً، هو خط غير منقط، ثم ظهر خط المشق في عهد عمر وفيه امتداد واضح بحروف الدال والصاد والطاء والكاف والياء الراجعة وفي هذا الخط صنعة وإبداع وتجويد ولقد استمر من القرن الأول حتى القرن الثاني وبه نسخت أكثر المصاحف التي تعود إلى ذلك العهد، تلا ذلك المحقق وهو كوفي مصحفي تكامل فيه التجويد والتنسيق، وأصبحت الحروف متشابهة والمدات متتامية، وزين بالتنقيط والتشكيل، وتساوت فيه المسافات بين السطور واستقل كل سطر بحروفه^(٤١).

وأول ما يرد الخط الكوفي كمصطلح لمجموعة خطوطه في القرن الرابع الهجري عند أبي حيان التوحيدي وقد انفرد بهذا المصطلح وذكر أنواع من الخطوط لم ترد في مصدر آخر من معاصريه كابن النديم وابن البواب^(٤٢).

(٣٧) محمود عباس حمودة: تطور الكتابة الخطية العربية دراسة لأنواع الخطوط ومجالات استخدامها، دار نهضة الشرق ودار الوفاء، (القاهرة ٢٠٠٠م)، ص ١٤٠.

(٣٨) القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤ جزء، طبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة ١٩١٣-١٩١٧م)، ج ٣، ص ٩-١١؛ يوسف أحمد: الخط الكوفي، محاضرة في الخط الكوفي في جميع أطواره، مطبعة حجازي، (القاهرة ١٩٣٣م)، ص ٨.

(٣٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٩-١٤.

(٤٠) عفيف البهنسي: الخط العربي أصوله، نهضته، انتشاره، ص ٥٣-٥٩.

(٤١) عفيف البهنسي: معجم مصطلحات الخط العربي، ص ص (ص - ق).

(٤٢) يوسف نون: قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة، بحث بمجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الخامس عشر، (بغداد ١٩٨٦م)، ص ١٤.

يجمع كل الذين كتبوا عن الخط الكوفي أنه شاع في القرون الخمسة الأولى ثم أخذ ينحصر بعد ذلك وتحل محله الخطوط المنسوبة التي يعتمد على مسارات حركة اليد الطبيعية في رسم حروفها وعلى رأسها خط الثلث قلمها الرئيسي ولم يعد الاهتمام به إلا في أوائل هذا القرن بل إن بعض الدراسات تقرر أنه بتوالي السنين قل استعماله وأصبح من الألغاز المعقدة التي يصعب حلها فتتوسى نحو من أربع مائة سنة، ويذكر محمد طاهر الكردي^(٤٣) أنه مما يجب الاعتراف به أن الأستاذ الكبير يوسف أحمد^(٤٤) هو الذي نشر الخط الكوفي في مصر وجدد ظهوره مرة ثانية بعد أن تتوسى رداً من الزمن.

الخط الكوفي كان الأغلب في الكتابات الأثرية والمصاحف، وأن الخط الكوفي كان الأسرع إلى التنسيق والتحسين من الخط النسخ، وأنه لم يلبث أن اتخذ أسلوباً منسقاً لمدى فترة وجيزة نسبية، ويتمثل أقدم نماذج الخط الكوفي المزخرف في نقش بئر الرملة المؤرخ بشهر ذي الحجة لسنة (١٧٢هـ / ٧٩٨م)، وهو يمثل ميلاد الكوفي المورق الذي يعتبر من أبداع ما ابتكره الخطاطون المسلمون في جمال الخط الكوفي، وربما ترجع السرعة في تنسيق الخط الكوفي عنه في خط النسخ من الطريقة التي يتألف منها هذا الخط والتي تعتمد على مستقيمات تتقابل في زوايا، ومن ثم أصبح من السهل التوصل إلى تنسيقه وترتيب حروفه في وقت قصير نسبياً. وقد ظل الخط الكوفي وحده تقريباً المعتمد عليه طوال القرون الخمسة الأولى في تدوين المصاحف وفي النقوش الزخرفية وفي الكتابات على العملة.^(٤٥)

والذي يتمن ويندوق ويحذق من الخط الكوفي يجد أنه يعتمد مبدأ إتقان الحروف والتماثل في تراكيبه على أن ينتبه الخطاط إلى اختيار أماكن نقطه ووضع الأشكال الهندسية التي تعتمد في تركيب حروفه أو رسم الأشكال الهندسية والزخرفية التي تجمل تعامد هذه الحروف، كما أن اقتتران أحرفه ومراعاة الابتكار والحرية والتفنن والتوازن بين حروفه ومراعاته لها الأثر الأكبر في طرق تشكيله.^(٤٦)

(٤٣) محمد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وآدابه، مكتبة الطلاب، الطبعة الأولى (القاهرة ١٩٣٩م)، ص ١١١.

(٤٤) كان ذلك بتأليفه كتاب الخط الكوفي عام ١٩٣٠م، والخط الكوفي في جميع أطواره عام ١٩٣٠م، والخط الكوفي في الرسالة الثانية عام ١٩٣٤م وله أيضاً مؤلفات أخرى عديدة وإسهامات في الخط الكوفي لا تغفل. أنظر: محمد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي، ص ٤٠٨-٤١٣.

(٤٥) حسن الباشا: الخط الفن العربي الأصيل، حلقة بحث الخط العربي، ضمن حلقة بحث الخط العربي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (القاهرة ١٩٦٨)، ص ٢٧.

(٤٦) إبراهيم ضمرة: الخط العربي جذوره وتطوره، ص ٨٧.

وبمقارنة الخط الوارد علي تلك الشواهد، والشواهد التي ترجع لنفس الفترة من جبانة أسوان نجد أنها نفذت بنفس الطريقة والمعايير التي نفذت بها الشواهد الأخرى، أي أن هذه الشواهد العربية أنفقت في الهيئة العامة من ناحية الشكل وكذا في طريقة تنفيذ خطوطها مع الشواهد الأخرى المزامنة لها التي أستخدمت التقويم الهجري الخالص. ويلاحظ غلبة استخدام الخط الكوفي المورق، حيث جاء في معظم شواهد قبور الدراسة فيما عدا القليل منها الأول، والثالث، والخامس.

الزخارف الواردة علي شواهد القبور :-

لم تأت الزخارف الإسلامية ارتجالاً، وإنما لها قواعد وأصول تنظمها، فللخرقة مثل غيرها من الفنون، قواعد مستمدة أساساً من الطبيعة، وأهم هذه القواعد التوازن والتماثل والتشعب والتكرار^(٤٧).

والزخارف الإسلامية مشتقة من روح الإسلام وأصالته وتعاليمه، والامتناع عن عمل التماثيل والأصنام، ولذلك تختلف زخارف العمارة الإسلامية عن مثيلاتها في العمارة القوطية- التي تمتاز بشدة الزخارف وثراءها إلى حد التكلف- والمعابد الإغريقية، وأقواس النصر الرومانية، وقد اهتم المسلمون بدراسة الزخارف بوجه عام، وخاصة الزخارف الهندسية التي اهتموا بها وألوهها عناية خاصة بالألوان، وخاصة الأحمر والأبيض والأزرق والذهبي والفضي، كما لعبت الزخارف النباتية دوراً هاماً في الفن الإسلامي لا يغفل^(٤٨).

وقد زخرقت شواهد القبور المبكرة بزخارف محدودة، وقد انحصرت هذه الزخارف في الزخارف النباتية والهندسية، إلى جانب زخارف العناصر المعمارية في بعض الأحيان، أما عن شواهد الدراسة فندرت زخارفها وانحصرت في الزخارف الهندسية فقط.

استعمل الإنسان الزخارف الهندسية في جميع الحضارات التي ظهرت منذ العصر الحجري وحتى الآن، ولعل اهتمام الإنسان بالزخارف الهندسية يعود إلى نزعتة الفطرية نحو التجريد من ناحية، والتوجيه الذي تفرضه عليه الخامة والأداء أثناء عملية الإنتاج من جهة أخرى، ويمكن القول أن نشأة الزخارف الهندسية لم تكن مسألة إرادية بقدر ما هي مسألة لا إرادية^(٤٩).

(٤٧) عبد الحميد يوسف: الزخرفة، دار رمسيس، القاهرة ١٩٦٧، ص ٥٨.

(٤٨) توفيق أحمد عبدالجواد: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، دار وهدان للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٠م، ص ٥٧؛ عبدالرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية عربي فرنسي إنجليزي، جروس بيرس، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨م، ص ٢١٢. وعن أدوات النقش والزخرفة يمكن الرجوع إلى، علي عيد: الفن الجميل في صناعة النقش والزخرفة، النقش والزخرفة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٢٩، ص ص ٧ - ١٧.

(٤٩) عبدالجبار محمود السامرائي: الزخارف الهندسية الإسلامية،

والحق إن اهتمام الفنان المسلم بتلك الزخارف يرجع إلى نزعة التجريد في وجدانه ومتطلباته الفنية في استخدامها، لذا فإن نشأتها لم تكن إرادية بقدر ما هي لا إرادية، والسبب في اهتمام الفنان المسلم بهذه الزخارف يرجع إلى الفكرة السائدة حول تحريم أو كراهية تصوير الكائنات الحية، فبدأ يطلق خياله الهندسي لإخراج خطوط ومنحنيات تتكرر وتتعاقد وتتبادل وتمتد إلى ما لا نهاية، وذلك على أساس مدروس، ومما لا شك فيه أن من عوامل نبوغهم في هذا المجال تفوقهم في الرياضيات، وأغلب الظن أن المسلمين لم يكن لديهم كتب لنماذج هندسية إسلامية، ولكن من المحتمل أنها كانت تتعلم بالمران، كما كانت تصنع لها قوالب ونماذج يستعملها الصناع والفنانون في تنفيذ الزخارف الجصية، وهي أسلوب من الزخرفة يقوم على نقش كتلة الجص بأشكال نباتية أو هندسية أو كتابية، واستعمالها كعنصر تزييني على جدران العمائر، أو تخريفها لاستعمالها في النوافذ والقمرات، أو في الزجاج المعشق^(٥٠).

وعلى الرغم من وجود الزخارف الهندسية في الفنون السابقة على الإسلام، إلا أنها كانت محدودة الاستخدام، فلم تتجاوز الإطارات الخارجية المكونة للزخارف الرئيسية الأخرى، لكن في مجال الفنون الإسلامية اختلف الأمر كثيراً، حيث طوعها الفنان المسلم تبعاً لخياله الفني الهندسي الخصب، مما نتج عنه تكوينات هندسية غاية في الدقة والإبداع وأدخل عليها ما يميزه عن غيره^(٥١)، وتميز على سبيل المثال بالطبق النجمي الذي يعد زخرفة إسلامية صرفة لا ينازع فيه أحد^(٥٢)، وعموماً فإن للزخارف الهندسية حظ وافر في الفن الإسلامي، فتطورت تطوراً عظيماً، وتنوعت تنوعاً كبيراً من خطوط مستقيمة ومقوسة ومتداخلة ومتقاطعة إلى أنواع مختلفة لا حصر لعددتها من المثلثات والمضلعات والدوائر والخطوط المجدولة^(٥٣).

<http://islamweb.net/fann/zagrafa/Islamic-zagrafa/htm> AcceDED at 06.06.2012.

(٥٠) قتيبة الشهابي: زخارف العمارة الإسلامية في دمشق، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق ١٩٩٦م، ص ٩١. ويذكر قتيبة الشهابي: أن الزخارف الجصية استعملت لأول مرة في العهد الأموي وتحديداً في واجهات قصر الحير الغربي، وانتشر استخدام هذا النمط من الزخرفة في العهد الأيوبي لتزيين جدران المنشآت الهامة آنذاك، وفي العهد المملوكي صار استخدام الزخارف الجصية المنقوش على الجدران أمراً نادراً. أنظر: قتيبة الشهابي: المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٥١) زكي محمد حسن: فنون الإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٨م، ص ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٥٢) حسن الباشا: قاعة بحث في الفنون والعمارة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٩٠.

(٥٣) محمود حامد الحسيني: الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ١٥١٧-١٧٩٨م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص ٩٢. ويذكر الدكتور محمد عبدالعزيز مرزوق أن الفنان المسلم لم يبتكر وحدات زخرفية جديدة، بل استعمل ما وجد بين يديه من مخلفات الفنون السابقة على الإسلام، إلا أنه لا سبيل إلى

أما عن شواهد القبور فقد زينت بزخارف هندسية^(٥٤) متمثلة في الخطوط الفاصلة بين الأسطر في الهيئة التي جاءت عليها الشواهد من المستطيل والمربع والبيضاوي والمثلث والدوائر والنجوم التي تزينها، وشواهد القبور لا تقل أهمية عن أي من النصوص الكتابية، فقد يكون لها دورٌ مباشرٌ، في دراسات تاريخية معينة، مثل دراسة تطور الخط العربي، والزخرفة الإسلامية، لاسيما وأن كثيراً من الشواهد مؤرخ، وبعضها يشتمل على أسماء كُتِّبها^(٥٥)، والواقع أن الزخارف الهندسية على شواهد القبور المصرية كثيرة إذا ما قورنت بالزخارف الهندسية على شواهد عربية، ولتكن شواهد قبور يمنية، فهي قليلة على هذه الشواهد إذا ما قورنت الأخيرة بالعناصر الزخرفية عليها، ويمكن إجمال العناصر الزخرفية عليها في ثلاثة عناصر رئيسية في مجال الزخرفة الهندسية.^(٥٦)

وبالنسبة للزخارف الهندسية التي استخدمها الفنان في زخرفته لتلك الشواهد، فهي نادرة تمثلت في الهيئة المستطيلة الشكل للشواهد جميعها، وكذا في الاطارات التي

إنكار مقدرته في طريقة رسم الوحدات الزخرفية وتوزيعها والتأليف بينها وتنسيقها تنسيقاً يجعلها تبدو وكأنها اخترعت لأول مرة، وما هي كذلك، ولكنه حصرها في بوتقته، ومزجها بفلسفته، كما ذكر أيضاً أنه لم يخترع أشكالاً هندسية، ولكنه بالغ في تقسيمها وتحليلها، فتارة متشابكة وأخرى متداخلة، وأحياناً متلاصقة، ومرات متباعدة. راجع محمد عبدالعزيز مرزوق: الإسلام والفنون الجميلة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤٤، ص ١٢. على حين يقرر الدكتور فريد شافعي أن الفنان المسلم لم ينقل من الطرز السابقة على الإسلام، إلا بعض العناصر الهندسية ذات الميزات الخاصة التي منها الصليب المعكوف الإغريقي، والذي سمي بالمفروكة فيما بعد، ومنها زخرفة الجداول التي عرفت منذ العصور الفرعونية، أما عن الزخارف الهندسية المنتظمة مثل الدوائر والأشكال المضلعة والمفصصة وخلافه، فليس لها طابع خاص تتميز به في طراز معين دون الآخر، كما يُعد الفن الإسلامي هو الوحيد الذي اختص بزخارف الأطباق النجمية، وأخيراً فإن الحاجة هي التي دعت الفنان المسلم إلى عمل الزخارف على اختلافها، وتؤيد الدراسة الرأي الأخير. راجع فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م، مج ١، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٥٤) لمعرفة المزيد عن تفاصيل زخارف شواهد القبور الإسلامية، راجع أمال أحمد حسن العمري: زخارف شواهد القبور الإسلامية قبل العصر الطولوني، حوليات هيئة الآثار المصرية، ضمن البحوث والوثائق الإسلامية، العدد الرابع، مارس ١٩٨٦م.

(٥٥) حسن الباشا: أهمية شواهد القبور بوصفها مصدراً لتاريخ الجزيرة العربية في العصر الإسلامي، مع نشر مجموعة الشواهد بالمتحف الأثري بكلية الآداب، جامعة الرياض، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الثالث، أوراق شرقية ٢٠٠٠، ص ١٩٠.

(٥٦) مصطفى عبدالله شيحة: شواهد قبور إسلامية من جبانة سعدة باليمن، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٨، ص ٦٦-٦٧.

تؤطر تلك الشواهد، وأيضا في الخطوط المستقيمة التي تفصل بين السطور الأفقية وبعضها البعض.

أسماء أصحاب شواهد القبور :-

أما عن الأسماء الواردة في كتابات تلك الشواهد فنجد أنها كلها أسماء عربية مألوفة، ولكن من الواضح انها لأناس عاديين لم تذكرهم كتب الطبقات التي تؤرخ لتلك الفترات التاريخية شأنها في ذلك شأن معظم شواهد قبور جبانة أسوان، ولكن ما يلفت النظر الأسم القبطي مارية. وبيان الأسماء كالتالي: هم..... ابنت بكر في (شاهد رقم ١)، مارية مولات محمد بن كثير (شاهد رقم ٢)، ابنت حسين (شاهد رقم ٤)، فاطمة يود المغربي (شاهد رقم ٥)، ابنت بن عزام بن قاسم (شاهد رقم ٦)، امتك الفقيرة الي رحمتك زينب ابنت احمد بن علي بن موسي بن جعفر (شاهد رقم ٧)، بركات بن ابو النمر بن محمد بن احمد بن ابو السباع (شاهد رقم ٩)

الآيات القرآنية الواردة علي تلك الشواهد :-

سورة الفرقان الآية (رقم ٦١) تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا
يَقُولُ تَعَالَى مُّمَجِّدًا نَفْسَهُ وَمُعْظِماً عَلَيَّ جَمِيلًا مَا خَلَقَ فِي السَّمَوَاتِ مِنَ النُّجُومِ وَهِيَ الْكُوكَبُ الْعِظَامُ فِي قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَأَبِي صَالِحٍ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَقِيلَ هِيَ فُصُورٌ فِي السَّمَاءِ لِلْحَرَسِ يُرَوَى هَذَا عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَسَلِيمَانَ بْنَ مَهْرَانَ الْأَعْمَشَ وَهُوَ رَوَاةٌ عَنْ أَبِي صَالِحٍ أَيْضًا وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَظْهَرَ لِلْهُمِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكُوكَبُ الْعِظَامُ هِيَ فُصُورٌ لِلْحَرَسِ فَيَجْتَمِعُ الْقَوْلَانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ " الْآيَةَ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَهِيَ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ الَّتِي هِيَ كَالسَّرَاجِ فِي الْوُجُودِ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا " " وَقَمَرًا مُنِيرًا " أَيُّ مُشْرِقًا مُضِيئًا بِنُورٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ نُورِ الشَّمْسِ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا " وَقَالَ مُخْبِرًا عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ " أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا " (٥٧) وردت هذه الآية علي الشاهد رقم ٤ ولم تتكرر.

– سورة الرحمن، آية (٢٦ – ٢٧): (كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)

تدل هذه الآيات على أن كل ما هو على وجه الأرض يموت، ويقال كل من عليها فان يفنى، ويقال كل من عمل لغير الله يفنى، ويبقى وجه الله حتى لا يموت، ويقال ما ابتغى به وجه ربك من الأعمال الصالحة، ذو العظمة والسلطان والتجاوز والإحسان^(٥٨). وردت هذه الآية علي الشاهد رقم ٩ ولم تتكرر.

التقاويم الواردة بشواهد القبور:- من المعروف سيادة التقويم الهجري^(٥٩) علس شواهد القبور الإسلامية المبكرة، وكن تعرضت الدراسة لظاهرة غريبة وهي تسجيل التواريخ بالسنوات الهجرية، ولكن بشهور قبطية وهو الأمر الذي رصدته الدراسة.

(57) <http://www.nwahy.com> Accessed at 22.05.2012.

(٥٨) الفيروز أبادي: المصدر نفسه، ص ٤٥١؛ تفسير الجلالين، ص ٥٣٢.

(٥٩) التاريخ الهجري من يوم قدوم النبي ﷺ مهاجراً. أنظر: السيوطي: الشماريخ في علم التاريخ، حققها وعلق عليها الشيخ عبدالرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، القاهرة (د.ت)، ص ١١. ولمعرفة

التقويم القبطي:

يعتبر هذا التقويم من أقدم ما عرفته البشرية في تحديد الشهور والأيام فقد تعمقوا في دراسة النجوم والأبراج في السماء حتى قيل ان بناء الهرم له علاقة بالأبراج ، ويرجح المؤرخون أن التقويم القبطي يرجع إلى عام ٤٢٤١ ق.م ، وأسماء شهور السنة القبطية أساساً أخذت من أسماء الآلهة المصرية القديمة ولكنها حرفت بمضى الزمن^(٦٠).

وأستخدم قدماء المصريين السنة النجمية نسبة نجمة الشعرى اليمانية التي كانت تظهر في سماء مصر بعد فيضان النيل وقد قاموا بتقسيم العام إلى اثني عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، وفي الشهر الأخير منها فقط - ويسمى مسرى - يضيفون خمسة أيام أطلقوا عليها اللواحق تسمى شهر النسئ، وقد قسموا العام إلى ثلاثة فصول مرتبطة بفيضان النيل وعملية الزراعة^(٦١).

ويقول الأسقف الأنبا إيسوذورس في كتابه تاريخ الكنيسة: "ويلزم لفت نظر القارئ أن حساب تدوين تاريخ الباباوات الإسكندرية فإنه تاريخ قبطي وهذا التاريخ ينقص عن التاريخ الغربي بثمانى سنوات، فسنة ١٩٢٣ م مثلاً هي سنة ١٩١٥ قبط." وكان بدايتها مع الاعتدال الخريفي (٢١ سبتمبر)؛ لأن هذا الوقت هو بداية موسم الزراعة وانحسار مياه فيضان النيل، وأستمر المصريون يستعملون هذا التقويم حتى بعد انتشار المسيحية في مصر نظراً لأنه مرتبط بالمواسم الزراعية المختلفة حتى جاء الإمبراطور دقلديانوس في العصر المسيحي وأستشهد في عصره أكثر من مليون قبطي؛ فاتخذ أقباط مصر بداية عهده الموافق ٢٨٤ ميلادية بداية لتقويم السنة القبطية؛ وكان التقويم القبطي يبدأ في يوم ٢٩ أغسطس من سنة ٤٨٤م وهو تاريخ جلوس الإمبراطور الروماني 'دقلديانوس' علي عرش روما. وعلى هذا فالتقويم القبطي نجمي في سنواته، فرعوني في أسماء شهوره، مسيحي في بدايته^(٦٢).

من الواضح أن طريقة كتابة التاريخ هنا كما أتفقنا تجمع ما بين التقويمين الهجري والقبطي، وطريقة أستخدامها هنا طبقاً لما يلي ذكر كلمة يوم، ثم ذكر أسم

التفاصيل عن أنواع التقاويم الهجرية راجع رأفت محمد النبراوي: التاريخ الهجري على النقود الإسلامية، بحث بمجلة العصور، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ١٩٨٩م، ص٢١٧-٢٥٦، حيث ذكر فيه طرق وأساليب تسجيل التاريخ الهجري بالحروف والأرقام العربية على النقود الإسلامية البحتة، وحصر هذه الطرق في ثلاث: تسجيل التاريخ الهجري بالحروف العربية، وتسجيل التاريخ الهجري بالأرقام العربية، تسجيل التاريخ الهجري بالحروف والأرقام العربية، وكل طريقة من الطرق الثلاث ترد بعدة أساليب فرعية.

(60) <http://www.coptichistory.org> Acceded at 22.05.2012.

(61) <http://www.coptichistory.org> Acceded at 22.05.2012.

(62) <http://www.coptichistory.org> Acceded at 22.05.2012.

دراسات في آثار الوطن العربي ٤١

اليوم من أيام الأسبوع مثلا، ثم ترتيب اليوم من الشهر القبطي^(٦٣) وغالبا ما يرد استخدام الفعل خلي أو بقي، ثم أسم الشهر القبطي ثم ذكر كلمة سنة، ثم السنة بالحروف العربية بالتاريخ الهجري. وأشكالها كما يلي:

شاهد رقم ١: توفيت يوم الأحد لسبع ليال خلون من بؤنة سنة ثمان وخمسين ومايتين وهي تشهد وحده

شاهد رقم ٢: توفيت يوم الاثنين لاربع بقين من طوبة من سنة تسع وثمانين ومايتين

شاهد رقم ٣: توفى الأحد لست عشر خلون من أمشير سنة أربع و..... تسعين وثلثمائة

شاهد رقم ٤: توفيت يوم الجمعة لعشر خلت من كياك سنة تسع وتسعين وثلثمائة

شاهد رقم ٥: يود المغربي ليلا من امشير من سنة واربع مايه

شاهد رقم ٦: توفيت لعشر خلون من كهيك سنة ست عشرة واربع مايه

شاهد رقم ٨: توفيت يوم السبت لسبع خلون من بشانس سنة عشرين واربع ...

شاهد رقم ٩: توف يوم الخميس في الثاني يوم من شهر بؤنة من سنة خمس

واربعين واربع مايه.

ولعل من أسباب استخدام الشهور القبطية، معاملة أحمد بن طولون معاملة حسنة لأقباط مصر وتخفيف الضرائب عن كاهلهم، وزيادة الزراعة في عصره... إلخ^(٦٤)، ويذكر أن الطولونيين أستعانوا بالأقباط لشغل المناصب المهمة بالبلاد^(٦٥)، وكذلك الحال تمتع الأقباط بالمناصب العليا وحمل بعضهم الألقاب والنياشين في عهد الدولة الفاطمية^(٦٦)، خاصة ان أول الشواهد ذات الشهور القبطية تقع في فترة حكمه، مع الوضع في الاعتبار تذبذب الحالة من عهد خليفة الي خليفة آخر في العصر الفاطمي كما نعرف. وأيضا ارتباطها بفيضان النيل وعملية الزراعة، ومن الممكن احتمالية ان يكون النقاش الذي صنع هذه الشواهد مسيحي بفضل كتابة الشهور القبطية. أو ان يكون المتوفي مسيحي كما في حالة شاهد قبر مارية.

(٦٣) للتفاصيل عن الشهور القبطية يمكن الرجوع الي مؤلف: رسالة في الأشهر القبطية، مخطوط مؤرخ بعام ١١٥٨هـ' مكتبة جامعة الملك سعود، ورقة ١.

(٦٤) يعقوب نخلة روفيلة: تاريخ الأمة القبطية، تقديم جودت جبرة، الطبعة الثانية، د. ت، ص ١٠١.

(٦٥) عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة إسحاق عبيد، المشروع القومي للترجمة، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥م، ص ١٠٨.

(٦٦) عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية، ص ١١٠.

أهم النتائج

- نشر لأول مرة تسعة شواهد قبور عربية مبكرة ذات شهور قبطية، من جبانة اسوان ودراستها لأول مرة.
- نشر لأول مرة في شواهد قبور عربية إسلامية ذات شهور قبطية، حيث لم تنشر الدراسات السابقة رغم كثرتها، أية شاهد من قبل يحمل هذه الظاهرة، وبذلك يكون لهذه الدراسة السبق في هذا المجال.
- لاحظ الدراسة تشابه شواهد القبور ذات الشهور القبطية مع الأخرى المزامنة لها من ناحية الشكل وكذا المضمون وان اختلف الأخير في بعض الأحيان.
- ترجح الدراسة استخدام الشهور القبطية في تأريخ تلك الشواهد العربية، التي العديد من الأسباب منها المعاملة الحسنة من قبل الحكام المسلمين وخاصة من بعد حكم أحمد بن طولون، وأيضا ارتباطها بفيضان النيل وعملية الزراعة، ومن الممكن احتمالية ان يكون النقاش الذي صنع هذه الشواهد مسيحي ففضل كتابة الشهور القبطية. أو ان يكون المتوفي مسيحي كما في حالة شاهد قبر مارية.
- توصلت الدراسة الي صيغ جنائزية غير مألوفة من قبل، كما حالة شاهد قبر مارية مولات محمد بن كثير، ويظهر ذلك جليا في خاتمة نص شاهدها الذي يختلف عن المزامن له، ولعل ذلك يرجع الي ان صاحبة الشاهد ماتت علي غير الاسلام.

تسم الله الرحمن الرحيم
 هذا قبرهم
 اسب لكرحب
 الله ومعلمه ورهبوا
 به عليها يوم
 يوم الاحد لسبع
 لسال خلور من يومه
 سنة بمارو حسيب
 وما سسر وهي سسلا
 محلا

تسم الله الرحمن الرحيم
 هذا قبرهم
 اسب لكرحب
 الله ومعلمه ورهبوا
 به عليها يوم
 يوم الاحد لسبع
 لسال خلور من يومه
 سنة بمارو حسيب
 وما سسر وهي سسلا
 محلا

شكل رقم " ٢ "

شكل رقم " ١ "

ككوا
 محمد السوروا
 كرم فاصر
 هد المكارير لك
 مرام سسر مرسله
 واربع م

تسم الله الرحمن الرحيم
 سارك الذي جعل من اسمها
 بروحا و جعل من اسمها
 حاو الله
 على محمد السور والوار
 لم الله حسيب
 يوم يوم الحمد
 لفسر حلد مراكيا سنة
 سبع سسعين و بليمانه

شكل رقم " ٤ "

شكل رقم " ٣ "



لوحة رقم " ٣ "

لوحة رقم " ٢ "



لوحة رقم " ٥ "

لوحة رقم " ٤ "



لوحة رقم " ٧ "



لوحة رقم " ٦ "



لوحة رقم " ٩ "



لوحة رقم " ٨ "